

في ذكرى اعتقاله وبعد 39 عاما خلف القضبان

الاسير كريم يونس يصل الى القدس

بقلم عيسى قراقع

بعد 39 عاما داخل سجون الاحتلال ، وبعد اكثر من مائة عام من وعد بلفور المشؤوم، وبعد اكرة من خمسين عاما من الاحتلال الاسرائيلي، وبعد المؤامرة الامريكية التي تسمى صفقة ترامب والتي اعترفت بالقدس عاصمة لدولة اسرائيل حمل اقدم الاسرى في السجون كريم يونس عناده الانساني وذخيرته النضالية والأخلاقية ، دفاتره الكثيرة، قصائده وخربشاته وآلامه وذكرياته ، وعاد الى مدينة القدس في ظهيرة جمعتها الساخنة.

اختار كريم يونس ان يعود الى القدس في ذكرى يوم اعتقاله 6-1-1983 محمولا على اكتاف خمسة آلاف اسير و أسيرة يقبعون في سجون الاحتلال، وصاعدا على كبرياء الصمود والكرامة والبطولات الكثيرة، فتح الف باب وباب، وقفز عن الف جدار وجدار، تجاوز الاسلاك الشائكة، وقرر ان يبدأ عامه الجديد بالصلاة في القدس بين مسجدها وكنيستها وفي حضرة روحها العنيدة.

كريم يونس قرر ان يختتم سنوات عمره في القدس، في نهارها وعلى مصاطبها وشوارعها وساحاتها، في هتافاتنا العالية ، هناك على يواباتها الثمانية وعلى اسوارها التاريخية، وبين المرابطين والمرابطات، بين العباد والمؤمنين والمدافعين عن سماءها المقدسة وأرضها المتقوعة بدم الشهداء والانبياء، وكأن القدس كانت على انتظار، احتضنته واشتعلت وكان الانفجار.

كريم يونس القادم من خلف الظلمات اليايسة ، ومن صدى الزنازين المتعفنة، ومن بين شهقات مئات الشهداء الاسرى الذين تركوا وصاياهم بين يديه، ومن بين مئات الاسرى المقدسين الذين يحرسون القدس بقلوبهم وصمودهم وجوعهم ، دمهم ملح القدس، ارواحهم هواء القدس، اغانيهم ترددها اجراس ومأذن القدس، صدورهم شبابيك مفتوحة على القدس واحياتها وأشجارها وحجارتها، يتنفسون بالقدس ويستمررون بدق الجدران.

كريم يونس يقف في مواجهة القرار الباطل والمتعطرس والغير شرعي للرئيس المخلوع ترامب بشأن القدس، ويقف في مواجهة سلسلة المشاريع والقوانين التي تستهدف هوية القدس العربية الاسلامية المسيحية الفلسطينية عاصمة دولة فلسطين الى الابد، يكسر القيد ، ويهتف للحرية بكل ما يملك من زمن في الماضي والحاضر والمستقبل ، هو الآن في القدس، مع الاطفال والنساء، امام الحواجز العسكرية والمستوطنات الغربية، هو يعرف المكان أكثر مما يعرفه الغرباء ، يشرب من البئر الاولى ، يمشي في وادي سلوان، يصعد جبل المكبر، يقرأ ذكرياته في باب العامود ، يصلي مساء في العيسوية ، ويمضي مع دليل قلبه جميلا في البعيد وجميلا في القريب، يشارك كل الناس في ايقاد الشعلة واضاءة شجرة الميلاد.

كريم يونس يفك عن رقبتة حبل المشنقة، لن يعدموا القدس، فالبحر الميت ينتفض بين يديه، و صنوبر الكرمل يتحرك بين عينيه، ولا زال ابن القدس الاسير الكفيف علاء البازيان يدل كريم يونس على عتبة البيت والشمس والينابيع واسماء النبات والجماد والقبور العتيقة، ليرى المكان يقف في المكان ، هنا علم فلسطين ، وهنا ذاكرة لم يشوهدا الاستيطان والاسماء العبرية ، هنا حارة المغاربة وحارة الارمن ، هنا حارة النصارى وحارة الشرف، هنا امي وأمك، هنا العيسوية، هنا ابو ديس ، هنا ايمن الشرباتي ، هنا بيت سامر العيساوي، هنا سجن المسكوبية.

كريم يونس يصل القدس بعد 39 عاما، وقد طوى قميصه البني وارتدى شجرا وسحابا ورعدا قادما من خلف الجدران، قتلوا قاسم ابو عكر في أقبية التعذيب ، قتلوا عمر القاسم ومحمد ابو خضير واسحق مراغة ومحمد ابو هدوان وفيصل الحسيني، دماء كثيرة على الأرصفة، نجوم كثيرة في السماء، ما هذه القدس التي تغير كل التكهانات والتوقعات والاتجاهات؟ تصد الغزاة والقرارات الظالمة، وتقيم اعراسها يوميا في الأزقة والحارات، ارواح الشهداء يحملها الاحياء وينتفضون على الموت والنعش والعدم ويصعدون.

كريم يونس في يوم اعتقاله يصل الى القدس، حنينه على ركبتيه ، بصماته وكلامه يجدها على ثرى القدس، السماء مليدة بالغيوم والاشتبك، صوت المطران كبوتشي يؤذن في الكنيسة يوم الاحد، تهطل الامطار غزيرة ومدرارة ، يلتقي الشهيد مع الحي في صلاة العام الجديد ، تفيض روحه الواضحة، مأوه الشتوي يتدفق في حصى القدس ولا يتوقف الموج عن المقاومة.

كريم يونس يصل الى القدس، يصل الى الشجرة المباركة ، يدعو القدس الى صلاته، والاسرائيليون يدعون الجنود والشرطة و القنابل والعصي والرصاص وكل الخطايا والاساطير الكاذبة، كريم يمشي في القدس، شهاب احمر ، ينحني ليقبل ارض القدس المالحة، وجيش الاحتلال يتعثر في خطاه، أقدامهم تائهة، دولة عنصرية فاشية ترتكب الجريمة المنظمة، يعيشون في الخوف والقلق الوجودي، وكريم يونس يسير في القدس مرفوع الرأس تحرسه الآلهة.

كريم يونس يصل في يوم اعتقاله الى القدس ، يتجادل مع سجان او حاخام على بوابات القدس، لا يروه الا شبعا وقنبلة موقوتة، يستنفرون قتلا واعتقالا واستيظانا، ولكنه لا يراهم الا دولة تعيش في معسكر ممثليء بالبارود والبنادق والآليات، خارج السور وبعيدا عن ضوء الشجرة والنوازع البشرية والانسانية.

كريم يونس يصل القدس يوم 2021/1/6 بتوقيت القدس وقرية عر عرة مسقط رأسه في اراضي فلسطين المحتلة عام 1948، وبتوقيت البحر الابيض المتوسط، وعلى وقع نداء امه المريضة التي وقفت على قدميها تحتضن كريم وهو يدخل القدس فجرا، يلبس كوفية ، لم يستطيعوا ضم القدس، الام ضمت كريم والقدس مرة واحدة.